Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ومدح الله القرآن بالبيان والإفصاح، وبحسن التفصيل والإيضاح، وبجودة الإفهام، وحكمة الإبلاغ، وسماه لذلك «فرقانا» فقال : ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ (الفرقان ١)، ويقول تعالى : ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ (يوسف ٢). ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ ﴾ (النحل ٨٩). وقال : ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلاً﴾ (الإسراء ١٢).

وعن حال ووضع البيئة اللغوية التي نزل فيها القرآن فقد أخبر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم عن حال قريش في بلاغة المنطق، ورجاحة الأحلام، وصحة العقول، كما ذكر العرب وما فيها من الدهاء والنكراء والمكر ومن بلاغة الألسنة واللدد عند الخصومة فقال : ﴿فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُمْ بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ﴾ (الأحزاب ١٩). وقال : ﴿وَتُنْذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا﴾ (مريم ٩٧)

ثم ذكر خلابة ألسنتهم واستمالتهم الأسماع بحسن منطقهم . ﴿وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ ﴾ (المنافقون ٤) . ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ﴾ (البقرة ٢٠٤) . هذه بعض الآيات التي تبين عظمة كلام الله تعالى ، وأعماقه المشعة الجميلة ، وبحاره الذاخرة المديدة ، وأبعاده النورانية الجليلة .

أما عن كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد كان كلامه غير مسبوق ، وغير منافس فيه، لم يسبقه إليه عربي ، لا شاعر ، ولا كاهن ، ولا قصاص ، ولا خطيب ، ولا صاحب أمثال ، ولم يأت بمثله عجمي ، ولم يدع مثله أحد من أصحاب مثل ذلك الكلام الذي كان مستعملاً وسائرًا بين الناس في عصره صلى الله عليه وسلم ، وقد وصف الجاحظ (ت ٢٥٥ هـ) بيانه صلى الله عليه وسلم بقوله : «وهو الكلام الذي قل عدد حروفه وكثر عدد معانيه وجل عن الصنعة ونزه عن التكلف وكان كما قال الله تبارك وتعالى قل يا محمد : ﴿وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ﴾ (سورة ص ٨٦)» .

فكيف وقد عاب (أي رسول الله صلى الله عليه وسلم) التشديق ، وجانب أصحاب التقعير ، واستعمل المبسوط في موضع البسط ، والمقصور في موضع القصر ، وهجر الغريب الوحشي ، ورغب عن الهجين السوقي ، فلم ينطق إلا عن ميراث حكمة ، ولم يتكلم إلا بكلام قد حف بالعصمة ، وشيد بالتأييد ، ويسر بالتوفيق ، وهذا الكلام الذي ألقى الله المحبة عليه وغشاه بالقبول ، وجمع له بين المهابة والحلاوة ،